السلبية مثل التظاهرات التي خرجت في بعض مدن الضفة الغربية في اعقاب الاحتلال ، ففي حديث له لصحيفة « دير شبيجل » الالمانية قال « يوجد هناك مقاومة حقيقية في الضفة الغربية من الاردن ويقوم بها الناس الذين يعتبرون انفسهم اردنيين وقعوا تحت الاحتلال الاجنبي والذين هم ليسوا على استعداد للتعاون مع القوة المحتلة اكثر من الضرورة القصوى ... اننا فخورون جدا بأن لنا اتصالات مع شعبنا في الضفة الغربية وان الغالبية الكبرى منهم يواجهون الحوادث المؤسفة كأردنيين »(٨٢). غير انه مع اشتداد اعمال المقاومة في الارض المحتلة وابتداء توجهها نحو اتخاذ الاردن مرتكزات انطلاق لها ، ادرك حسين أن الامر يكاد يفلت من يده ، فانتهز فرصة قيام القوات الاسرائيلية بغارة على منطقة الاغوار في شباط ١٩٦٨ ليوجه من الراديو حملة عنيفة على المقاومة في لهجة تهديد واضحة : « انني وانا اتحمل مسؤولية قيادة بلدي وشعبي ... لن اقبل بأن يقدم احد لاعداء بلدي وامتي ذريعة يتذرعون بها ... او حجة يطلع بها اولئك الاعداء على العالم ليدفعوه الى المزيد مما اوقعوه به من وهم وتضليل ... ان احدا فوق هذه الارض لا يستطيع ان يبيعنا وطنية او يتنايه علينا وفاء لاهداف او سعيا لآمال . ولن يقوى امرؤ على المزايدة علينا قيادة وشعبا وجيشا لا من قريب ولا من بعيد ... ان كل عمل مخلص هادف ينبغي ان ينطلق من ارضنا هذه ومن خلالنا نحن وفي اطار ما نرسم ونخطط ونعد ... ان اية فئة تتجاهل هذا الموقف منا بعد اليوم وتتخذ لنفسها نهجا غير نهجنا وتتعامى عن بابنا الذي كان وسيظل مفتوحا لكل متطلع الى المعركة بشوق واخلاص هي ليست منا ولسنا منها ، وهي ليست من القضية في شيء قليل ولا كثير ، ونحن لذلك عليها وضدها بكل قوة وتصميم »(٨٣) . هل فكر حسين في ذلك الوقت المبكر بخوض معركة مع العمل الفدائي؟ ان ذلك الخطاب كان يفوح بذلك التوجه، غير ان تهديده بضرب المقاومة لم يكتب له الوقت الكافي ليتخذ مداه ومفعوله ، فبعد شهر وبضعة أيام كانت معركة الكرامة التي غيرت في موازين القوى والتي كانت مطلع مرحلة جديدة في موقف النظام الاردني والملك حسين من المقاومة .

المرحلة الثانية ــ من معركة الكرامة الى أزمة حزيران ١٩٧٠ : ادخل النصر الذي حققته المقاومة في هذه المعركة والنشاط التعبوي الواسع الذي قامت به في اعقابها ، ادخلا المقاومة مرحلة جديدة كان ابرز سماتها اندفاع الجماهير العربية اندفاعا حماسيا كثيفا نحو دعمها ، مما وطد ثقة المقاومة بصحة منطلقاتها فصعدت من عملها المسلح ونشاطها السياسي على حد سواء ، الامر الذي اكسبها مرة اخرى مؤيدين ومنتظمين بعرض العالم العربي كله ، مما جعل اي محاولة تستهدف الانتقاص من قدر المقاومة او التشكيك بمنطلقاتها محكومة بنقمة الجماهير وغضبها ، خاصة اذا صدرت مثل هذه المحاولة عن نظام مهزوم كنظام الملك حسين الذي كان همه الاساسي الدفاع عن وجوده الذي كانت الدلائل تشير الى احتمال انهياره ، والذي كانت مصلحته تحتم عليه عدم الدخول في معارك مواجهة مع هذا المد الجماهيري المتصاعد الذي كان يهدد ــ في حالة استعدائه ــ رأس النظام نفسه . من هنا كان من الطبيعي ان تتغير لهجة حسين لدى حديثه عن المقاومة ، ويصل به القول الى انه « الفدائي الاول »(٨٤). غير أن تغير اللهجة لم يكن يعني بالتالي تغيرا في الموقف . فحتى في حمى استعار هذا « التأييد » اللفظي الذي وجد حسين نفسه منساقا اليه بضغوط غير نابعة من قناعاته بالتأكيد ، كان الملك يجد مبررات وفرصا لكشف موقفه الثابت من المقاومة : وجودها نفسه واهدافها ومنطلقاتها .

وقبل التطرق الى تبين موقف حسين في هذه الفترة سنلقي نظرة على كيفية تناوله لمعركة الكرامة . كان رد الفعل الاول الذي سببه الهجوم الاسرائيلي الكبير على الكرامة ذعرا تجلى في برقية حسين الى الرؤساء والملوك العرب في يوم المعركة نفسه قال فيها : «لئن **أخذتم تسمعون عنا وليس منا بعد هذا اليوم** فلأننا والله قد طالت نداءاتنا...»(٨٥).